عقيدة أهل الكتاب "النصارى" في ألوهية عيسى في الخطاب القرآني

سيكو توري

الجامعة الاسلامية العالمية ماليزيا، ماليزيا

sekou84@gmail.com

معلومات البحث

الاستلام: 2011/9/28

القبول: 2011/10/1

النشر: 2011/10/15

© 2011 Design *for* Scientific Renaissance All rights reserved

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، الله علمنا نا ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا من لدنك علما يا رب العالمين؛ وبعد:

فيحاول هذا البحث دراسة **عقيدة أهل الكتاب "النصارى" في ألوهية عيسى في الخطاب القرآني**، وبيان الموقف القرآني منها، وذلك باستقراء الآيات الواردة في ذلك، وبيان المقصود بعقيدة ألوهية عيسى الواردة في النص القرآني، وبذكر وبيان موقف فرق النصارى –الأخرى غير اليعقوبية– من ألوهية المسيح، ومن ثم دراسة مدى مصداقية القرآن في حكايته هذه العقيدة، وبعرض طرف من أدلة النصارى في اعتناق عقيدة ألوهية المسيح، أخيرا يختم الباحث بالحديث عن موقف القرآن من هذه العقيدة. وبما أن موضوع البحث يتضمن مواضيع تخص مقارنة الأديان وقضايا تمس جوهر دراسات القرآن أو التفسير فقد مهد الباحث للموضوع بدراسة التفسير وعلم الكلام في خلق علم مقارنة الأديان. ويرى الباحث أن هذه الفكرة يمكن أن تثمر في إعطاء وتقديم صورة واضحة عن عقيدة النصارى في ألوهية عيسى –عليه السلام– بإتباع المنهج الاستقرائي في تتبع وتقفي آيات القرآن الكريم، وتحليلها. **كما سيدرس البحث مصطلح أهل الكتاب** واستقراء الآيات في ذلك، وبيان معانيها ومقاصدها، ليصل فيما إذا كان أهل الكتاب الوارد ذكره في الخطاب القرآني ينطبق على اليهود والنصارى في عصرنا الحاضر.

هذا، وقد تم تقسيم البحث إلى **ثلاثة محاور**، حيث يدرس الباحث في **المحور الأول** العلاقة بين علم التفسير وعلم الكلام، الذي بهما يلد هذا البحث في مقارنة الأديان. وفي **المحور الثاني** يدرس الباحث مصطلح أهل

الكتاب، واستقراء الآيات التي ورد فيها اللفظ استقراء قد يصح زعم أنه استقراء تام، وبيان معانيها ومقاصدها، وتحليل مدى مطابقة مصطلح أهل الكتاب على اليهود والنصارى في عصرنا الحاضر. وفي **المحور الثالث** والأخير، سيتم دراسة عقيدة أهل الكتاب —أو النصارى خاصة– في ألوهية عيسى كما ورد في الخطاب القرآني، مع تتبع جميع الآيات في ذلك وبيان مفهوم العقيدة ومراميها في القرآن الكريم.

المحور الأول: مدخل في: "التفسير وعلم الكلام في صناعة علم مقارنة الأديان":

لو أمعنا النظر أيضا في موضوع هذا البحث " عقيدة أهل الكتاب "النصارى" في ألوهية عيسى في الخطاب القرآني،" لأدركنا أن البحث يسعى إلى كشف هذه الجزئية في النصرانية كما تحدث عنها القرآن. وهذا يعني أنه يلزمنا الوقوف على كتب التفسير في المقام الأول، فهناك نجد البيان الصريح في شرح وتحليل الآيات، لكن لا يعني هذا إطلاقا أننا نكتب في التفسير؛ إذ ثمة تداخل واشتراك كبير بين التفسير وعلم الكلام الذي يعتبر منبع دراسات الملل والنحل، سمه مقارنة الأديان إن شئت، أو دراسات الأديان.

التفسير يحاول بيان المراد من الآيات القرآنية والكشف عن دلالاتها وإظهار معانيها حسب الطاقة البشرية، كما هو معلوم.[1] و من المعلوم كذلك أن علم الكلام هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإسلامية بالحجج والبراهين العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة كما بين ابن خلدون.[2] والمنطق يوجب على الباحثين معرفة الشيء قبل الحكم عليه، إذ كيف تتكلم أو تتحدث أو تناقش أو ترد على الكرامية[3] مثلا أو النصارى، و أنت لا تعرف ما هي اعتقادات الكرامية وأدلتهم، وما هي اعتقادات النصارى وأدلتهم؟ يلاحظ أن التفسير وعلم الكلام قد يلتقيان، لأن من أراد أن يبين المقصود من آيات القرآن ذات الصلة بالنحل الأخرى من نصرانية أو يهودية أو غيرهما، أو أراد بيان كلام عيسى في المهد أو إبرائه الأكمه والأبرص كما حكاه القرآن، لا

[1] يراجع: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: دار المعرفة، الطبعة الأولى، 1957). ص147.

[2] ابن خلدون، عبد الرحمن **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق عبد السلام الشدادي (الدار البيضاء: بيت الفنون والعلوم والآداب، ط1، 2005). ج3، ص 23.

[3] يعرفهم الإمام الرازي بقوله: هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام وكان من زهاد سجستان. واغتر جماعة بزهده ثم أُخرج هو وأصحابه من سجستان فساروا حتى انتهوا إلى غرجة. فدعوا أهلها إلى اعتقادهم فقبلوا قولهم. وبقي ذلك المذهب في تلك الناحية، وهو فرق كثيرو على هذا التفصيل: الطرايقة، الإسحاقية، الحماقية، العابدية اليونانية، السورمية، الهيصمية، وأقربهم الهيصمية. وفي الجملة كلهم يعتقدون أن الله تعالى جسم وجوهر ومحل للحوادث, ويثبتون له جهة ومكانا. إلا أن العابدين يزعمون أن البعد بينه وبين العرش متناه، والهيصمية يقولون إن ذلك البعد غير متناه. ولهم في الفروع أقوال عجيبة ومدار أمرهم على المخرقة والتزوير وإظهار التزهد. ولأبي عبد الله بن كرام تصانيف كثيرة إلا أن كلامه في غاية الركة والسقوط. انظر: الرازي، محمد فخر الدين، **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، ضبط وتقديم وتعليق محمد المعتصم بالله البغدادي (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1986). ص89.

يستطيع ذلك دون فهم حقيقة الأمر، يعني ما المقصود بكلامه في المهد ومتى حدث ذلك ومن من النصارى يؤمن بهذا؟ فهذا تفسير، لكن يمس الديانة النصرانية، فيمكن إدخاله في دراسات الأديان المقارنة! وعلم الكلام كذلك يصح عليه ما ذكر الباحث. فمثلا حين يعرض لك المتكلم أدلة حدوث العالم وأنه لا بد لهذا الحادث من إله، وأنه لابد لهذا الإله من صفات الكمال وتنزيهه عن النقص، ثم يدخل في التوحيد، أقول يفتح له هذا باب الكلام في الذين لا يؤمنون بإله، أو يشركون ... فأين دليل ومنطق المتكلم منهم. فعلم الكلام يفتح الخوض في الأديان ومسائله كما أن التفسير يفعل الشيء نفسه.

يرجو الباحث أن يكون القارئ قد فطن وأدرك ما نبه إليه، فدراسة **عقيدة أهل الكتاب "النصارى" في ألوهية عيسى في الخطاب القرآني**، تثمر كثيرا في حقل دراسات الأديان، وتدمج بين حقول العلم، ليخلق ويصنع منها علما وفنا واحدا مستقلاً.

يذكر محمد عبد الله الشرقاوي، في معرض حديثه عن الفرق بين علم " مقارنة الأديان" وعلم الكلام، بعد أن ذكر قائمةً بأسماء علماء المسلمين الذين اهتموا بفن مقارنة الأديان، فرأى أنه بتأمل هذه القائمة نجد فيها المؤرخين والمفسرين والفقهاء والمترجمين، لكننا نجد أكثرها من المتكلمين، نعم إن أكثر من كتبوا في دراسة الأديان كانوا من المتكلمين، فهل يعطي ذلك مشروعية للقول بأن علم مقارنة الأديان جزء من علم الكلام في الإسلام؟. للجواب على ذلك لا بد من مراعاة أمور: منها: أن كثيرا ممن كتبوا في أصول الفقه كانوا من المتكلمين كذلك، فهل نازع أحد عن استقلال أصول الفقه عن علم الكلام؟!، ثم إننا نميز بين علم وآخر عن طريق أمور ثلاثة: هي الموضوع، والمنهج، والوظيفة أو الغاية، ومن المقبول بين أهل الاختصاص اليوم، أن وظيفة علم الكلام تتحد في البرهنة العقلية على صحة العقائد أو أصول الدين، والحجاج العقلي عنها ضد المخالفين، موضوع العلم ووظيفته يحددان منهج البحث فيه كما هو معروف. ومن ثم يقرر ما توصل إليه من نتيجة وعلاقة بين العلمين فقال: " يلتقي علم الكلام مع علم الدين المقارن في جانب من موضوعه، وهو درس موضوعات أو جوانب من أديان المخالفين، لكن يبقى أن علم الكلام يحتفظ باستقلال وظيفته ومنهجه في البحث عن علم الدين المقارن."[1]

أجل ثمة تداخل عميق بين علم الكلام وعلم مقارنة الأديان، لكن يبقى كل مستقل عن غيره، وإن كان علم الكلام هو منبع علم مقارنة الأديان في العالم الإسلامي.

[1] الشرقاوي، محمد عبد الله، **بحوث في مقارنة الأديان** (القاهرة: دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، 2002). ص35-36.

المحور الثاني: أهل الكتاب في الخطاب القرآني

يطلق القرآن على النصارى[1] أسماءً أو ألقابا لها ما لكلمة النصارى من مقصود، وإن كان ثمة فرق بسيط من حيث العموم والخصوص. مثل بنو إسرائيل، الذين آتيناهم الكتاب، الذين أوتوا الكتاب، أهل الذكر، و من هذه المرادفات **أهل الكتاب** فما هي الآيات التي تحدثت عن أهل الكتاب، وما معانيها والمقصود منها، وهل ينطبق على اليهود والنصارى في عصرنا الحالي؟

أهل الكتاب: قبل الخوض في بيان مقصوده، نذكر الآيات التي ورد فيها المصطلح: ورد هذا اللفظ إحدى وثلاثين مرة.[2]

لبيان معاني أهل الكتاب ومفاهيمه في الخطاب القرآني يجدر بنا الوقوف على النقاط الآتية:

أولا: يطلق أهل الكتاب ويراد به اليهود والنصارى كما في قوله تعالى: "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ" المائدة: ١٥، يقول الرازي: "المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى."[3] ويقول في موضع آخر: " أهل الكتاب من اليهود والنصارى."[4]

ثانيا: يطلق مصطلح أهل الكتاب ويراد به اليهود فقط، كما في آية "يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا" النساء: ١٥٣.[5]

---

[1] النصرانية هي الرسالة التي يعتقد معتنقوها أنها أُنزلت على عيسى عليه الصلاة والسلام، مكمِّلة لرسالة موسى عليه الصلاة والسلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل. جاء في قاموس المذاهب والأديان: "هي الديانة المسيحية التي أسست على تعاليم المسيح المتممة لتعاليم موسى ولما جاء في التوراة." –انظر: حمد، حسي علي، **قاموس المذاهب والأديان** (بيروت: دار الجيل، الطبعة الأولى، 1998). ص209؛ وانظر: فتاح، عرفان عبد الحميد، **النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها** (كوالالمبور: دار التجديد، الطبعة الثانية، 2005). ص39-42. إذن النصرانية هي ديانة النصارى، لم يتكلم عنهم القرآن بهذا اللفظ، لكن تحدث عنهم كأتباع، بلفظ – نصارى – فمن هم النصارى؟ استخدم القرآن لفظ النصارى تسع مرات، وبدون الألف واللام (نصارى) خمس مرات، فالمجموع أربع عشرة مرة ورد فيها مشتقات لفظ " النصارى" في القرآن الكريم. و يراد بالنصارى في هذه الآيات، الذين يؤمنون بأنهم أتباع المسيح عليه السلام، وكتابهم الإنجيل، سواء في زمنه أو كل من آمن به بعده.

[2] انظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** (القاهرة: دار الكتب المصرية، د.ط ، 1364هـ). ج1، ص95. مادة أهل الكتاب.

[3] الرازي، محمد فخر الدين، **مفاتيح الغيب** (بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى، 1981). ج11، ص151.

[4] المرجع نفسه، ج4، ص147.

[5] ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق أحمد شاكر (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2000)، ج6، ص502. وج10، ص140.

ثالثا: يطلق المصطلح ويراد به النصارى فقط، كما في قوله تعالى: "يا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا" النساء: ١٧١. جاء في تفسير الطبري: " القول في تأويل قوله : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ } قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله:"يا أهل الكتاب"، يا أهل الإنجيل من النصارى "لا تغلوا في دينكم"، يقول: لا تجاوزوا الحق في دينكم فتفرطوا فيه، ولا تقولوا في عيسى غير الحق."[1] ويقول الفخر الرازي: " والتقدير يا أهل الكتاب من النصارى لا تغلوا في دينكم أي لا تفرطوا في تعظيم المسيح وذلك لأنه تعالى حكى عن اليهود أنهم يبالغون في الطعن في المسيح وهؤلاء النصارى يبالغون في تعظيمه وكلا طرفي قصدهم ذميم فلهذا قال النصارى لا تغلوا في دينكم."[2]

رابعا: قد يعم المصطلح أحيانا، فيشمل طوائف أخرى غير اليهود والنصارى، و تحت هذا نقطتان:

أ- إدخال المسلمين في دائرة أهل الكتاب، على أساس أن كتابهم القرآن الكريم، يفهم هذا من كلام الإمام الرازي حيث قال: " أهل الكتاب وهم المسلمون واليهود والنصارى."[3] والصريح أكثر من هذا قوله مفصلا: " أن يكون المراد بأهل الكتاب كل من أوتي الكتاب من أهل الأديان وعلى هذا القول يكون المسلمون من جملتهم."[4]

ب- أن يعمم أكثر من هذا وذاك، فيدخل في معنى أهل الكتاب اليهود والنصارى والمسلمين والصابئة والسامرة والمجوس، على أساس أن لديهم كتابا، يقول الرازي في صدد بيانه أنواع الكفار بعد أن ذكر عبدة الأوثان، تحدث الشهرستاني عن أهل الكتاب ومن ثم تحدث عن من له شبهة كتاب أو من يدعي كتابا فذكر الصابئة بفرقها والسامرة وعبدة الأوثان وغيرها.[5] وجاء في مفاتيح الغيب: " وفريق هم أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى والسامرة والصابئون والصابئون وهذان الصنفان سبيلهم في أهل الكتاب سبيل أهل البدع فينا والمجوس."[6] ولعل الراجح هو أن مصطلح أهل الكتاب يطلق على اليهود والنصارى أو أحدهما، ولا يصح اعتبار المجوس والصابئة منه، يقول فخر الدين في ذلك: " أهل الكتاب سواء كان محقاً في تلك الدعوى كاليهود والنصارى أو كان كاذباً فيه كالمجوس."[7] كما أن اليهود اليهود والنصارى هم من اشتهر بهذا المصطلح.

---

[1] المرجع نفسه، ج9، ص415.

[2] المرجع السابق، ج11، ص92.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج4، ص119.

[4] المرجع نفسه، ج8، ص164. والآية في سورة فاطر: آية 32.

[5] الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، **الملل والنحل** (بيروت: دار المعرفة، ط3، 1993). ج1، ص207 – 209.

[6] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج16، ص26.

[7] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج7، ص185.

خامسا: يطلق مصطلح أهل الكتاب بمعنى أضيق من معناه الأصلي، فيقيد به من آمن منهم، كما في قوله وتعالى: " وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ" آل عمران: ١٩٩. **إذ لا يصح حمل هذه الآية على أهل الكتاب كلهم، لكن يحمل على من آمن منهم،** فيصير المعنى وإن من مؤمني أهل الكتاب، ولا عجب في هذا، إذ يقول الرسول: « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: **رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به** واتبعه وصدقه فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها ثم أدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران،»[1] فيصح إطلاق أهل الكتاب على المؤمن منهم كذلك. فالمقصود بأهل الكتاب هم من آمن من اليهود والنصارى، يقول الزمخشري وهو يذكر آراء العلماء فيمن نزلت الآية " يريد من أسلم من اليهود ، كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما، ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلاً: أربعون بنجران، واثنان وثلاثون بأرض الحبشة، وثمانية من أهل اليمن، هؤلاء."[2] و العلة في أن أهل الكتاب في هذه الآية يخص فيطلق على المؤمن، ولا يعم ليشتمل كل أهل الكتاب هي ما رُتب على المحكى عنهم من ثواب عند الله، ومعلوم أن لا ثواب لكافر يوم القيامة، ولا يقبل غير الإسلام.

سادسا: إن مصطلح أهل الكتاب يعتبر اسم مدح، فقد ذكر الرازي أن هذا الاسم من أحسن الأسماء وأكمل الألقاب حيث جعلهم أهلاً لكتاب الله ونظيره ما يقال لحافظ القرآن يا حامل كتاب الله وللمفسر يا مفسر كلام الله فإن هذا اللقب يدل على أن قائله أراد المبالغة في تعظيم المخاطب وفي تطييب قلبه.[3]

سابعا: رغم المنزلة الخاصة لأهل الكتاب في الإسلام، وإعطائهم هذا الاسم الحسن الذي يدل على مدح، يبين القرآن أنهم من الكفار، وهذه التسمية للتمايز، وهم فعلا كفروا برسالة محمد ولم يصدقوه، فلا جرم أن يوصفوا بهذا، فهو مجرد وصف، يدل على ذلك قوله تعالى: " لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ". البينة: ١. فقد بين الزمخشري معقّبا على الآية أن الكفار كانوا جنسين. **أحدهما:** أهل الكتاب كفرق اليهود

---

[1] متفق عليه، واللفظ لمسلم، انظر: مسلم، أبو الحسين بن الحجاج، **صحيح مسلم** (الرياض: بيت الأفكار الدولية، د.ط، 1998)، ج1، ص134. باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، رقم 154/1؛ البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه** (الرياض: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ)، ج4، ص60. باب فَضْلِ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ. رقم الحديث3011؛ عبد الباقي، محمد فؤاد، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، 1981)، ج15، ص818.

[2] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** (الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، 1998)، ج2، ص501.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج8، ص76.

والنصارى وكانوا كفاراً بإحداثهم في دينهم ما كفروا به كقولهم عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ و الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وتحريفهم كتاب الله ودينه **والثاني**: المشركون الذين كانوا لا ينسبون إلى كتاب فذكر الله تعالى الجنسين بقوله الَّذِينَ كَفَرُواْ على الإجمال ثم أردف ذلك الإجمال بالتفصيل وهو قوله مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ.[1] لكن هل هم مشركون؟ يرى معظم العلماء أنهم مشركون؛ حيث اختلفوا في لفظ المشرك هل يتناول الكفار من أهل الكتاب؟ فأنكر بعضهم ذلك والأكثرون من العلماء على أن لفظ المشرك يندرج فيه الكفار من أهل الكتاب، ويدل عليه وجوه: **أحدها**: قوله تعالى: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ" التوبة: ٣٠. وقوله تعالى في الآية التي تليها: "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ" التوبة: ٣١. وهذه الآية صريحة في أن اليهودي والنصراني مشرك. **وثانيها**: قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا". النساء: ٤٨، دلت هذه الآية على أن ما سوى الشرك قد يغفره الله تعالى في الجملة فلو كان كفر اليهودي والنصراني ليس بشرك لوجب بمقتضى هذه الآية أن يغفر الله تعالى في الجملة ولما كان كان ذلك باطلاً علمنا أن كفرهما شرك. **وثالثها**: قوله تعالى: " لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ". المائدة: ٧٣. و يذكر العلماء بعض أدلة الفريق الآخر فهم احتجوا بأن الله تعالى فصل بين أهل الكتاب وبين المشركين في الذكر وذلك يدل على أن أهل الكتاب لا يدخلون تحت اسم المشرك وإنما قلنا أنه تعالى فصل لقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" الحج: 17. وقال تعالى: " لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ" البينة: 1. ففي هاتين الآيتين فصل بين القسمين وعطف أحدهما على الآخر وذلك يوجب التغاير. والجواب أن هذا مشكل بقوله تعالى: " وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا". الأحزاب:٧، وبقوله تعالى: " مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ". البقرة: ٩٨، فإن قالوا إنما خص بالذكر تنبيهاً على كمال الدرجة في ذلك الوصف المذكور قلنا فههنا أيضاً إنما خص عبدة الأوثان في هذه الآيات بهذا الإسم تنبيهاً على كمال درجتهم في هذا الكفر فهذا جملة ما في هذه المسألة.[2] فبالنظر إلى ما عندهم من معتقد يصح إطلاق لفظ مشرك عليهم، أقول: ومع هذا فإنهم يعاملون على أساس أنهم أهل الكتاب؛ لأنه هكذا ورد في القرآن، فالقرآن أطلق عليهم أهل

[1] الزمخشري، **الكشاف**، ج1، ص201.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج6، ص48-49.

كتاب وجعل لهم أحكام خاصة، مع أنه هو نفسه الذي حكى عقيدتهم التي يفهم منها معاني الشرك، فلا ضير في ذلك.

أخيرا: يرى الباحث أن مصطلح أهل الكتاب الوارد في الخطاب القرآني ينطبق على اليهود والنصارى في عصرنا، ويصح أن يطلق عليهم، وذلك للأسباب الآتية:

1. الأصل بقاء الشيء على ما كان حتى يأت ما يخالف، وقد علمنا بلا شك أن القرآن أطلق على اليهود والنصارى لفظ أهل الكتاب، فيصح لنا أن نطلق على يهود ونصارى اليوم أهل الكتاب باعتبار الاستخدام القرآني.

2. إن الشرك الكامن في اعتقاد أهل الكتاب من المنظور القرآني –كما رأينا–، كعقيدة النصارى بالتثليث و ألوهية عيسى وعقيدة البنوة وألوهية مريم في مذهب اندثر، لم يمنع أن يطلق القرآن عليهم ما أطلق من لفظ أهل الكتاب، ونحن نعلم أن ثمة أحكام في أهل الكتاب تختلف عنها في حق المشرك وعابد الوثن أو النار مع اشتراك الاثنين في الشرك. أقول مع وجود الشرك في اعتقادهم حلل القرآن نكاح المحصنة منهم وأكل ذبائحهم وأخذ الجزية منهم، مما يعني أن هذا معاملة خاصة لهم دون بقية المشركين، فلماذا لا يطلق عليه اللفظ في هذا العصر؟!

وملخص القول هو أن القرآن الكريم في حديثه عن النصارى والنصرانية، يذكرهم بلفظ و مصطلح أهل الكتاب، إلا أن هذا المصطلح أعم من النصارى فقط، فقد يدخل في مدلوله النصارى واليهود معا أو على حدة، كما يمكن أن يخصص فيراد به من أسلم منهم، وقد يعمم إذا اعتبرنا الكتاب، فكل من له كتاب فهو أهل كتاب.

وعلى هذا قد يكون من الخطأ التعميم، كما أنه قد يكون من الخطأ التخصيص، فإذا أطلق لفظ أهل الكتاب، فعلى الباحث أو القارئ السعي للكشف عن المراد، وإلا فقد ينسب لكتاب الله ما ليس منه، و يود الباحث أن يختم الكلام عن أهل الكتاب ببعض النقاط، التي قد تكون مهمة:

1. من الألفاظ التي تدل على النصارى في القرآن الكريم لفظ أهل الكتاب.

2. هذا المصطلح يشارك النصارى فيه طوائف آخرون؛ فلا تؤخذ آية من هذه الآيات، وتفهم مستقلا، دون البحث والمقارنة مع الآيات الأخر.

3. هذا اللفظ اسم مدح، ولهم أحكام خاصة سجلها القرآن، وهم أيضا من الذين لم يؤمنوا ولم يصدقوا النبي فهم كفار، ولا يصح القول أنهم مؤمنون،وبالتالي لا يحكم فيهم ما حكم به القرآن للمسلمين من الإيمان وأن لهم أحرهم ونورهم، فهذا لمن آمن منهم.

4. الآيات التي تصفهم بالإيمان وأن لهم أجرهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، أو يعطون أجرهم مرتين، أو أنهم يتلون آيات الله آناء الليل وأنهم ساجدون راكعون، هذه الآيات تحمل على من آمن منهم كعبد الله سلام وآخرون.

5. وهم – من آمن منهم – هم المعنيون بالسؤال عما جاء في كتبهم، ولا يحمل على العموم، أي لما نجد آية تأمر وتنصح بسؤال أهل الكتاب وأهل الذكر،[1] فيما هو مكتوب عندهم من أدلة التوحيد ونبوة محمد، فالقرآن يقصد سؤال من آمن منهم.

6. لا يغالطنك من يقول إن الإسلام أقرهم على دينهم، وأن دينهم صحيح، فهم كفار بإطلاق القرآن، وهم معنيون بتعالوا إلى كلمة الحق، والدعوة تشملهم.

المحور الثالث: عقيدة ألوهية المسيح

جاء في أربعة أماكن في القرآن الكريم تصريحا في مواطن وتلميحا أو تلويحا في أخرى أن صنفا وطائفة من الناس يدينون بأن عيسى إله، وهذه الطائفة التي عبر عنها القرآن بـ – الذين –، كما عبر عنها في مكان آخر بـ– الناس – هي النصرانية، ويطلق على هذه العقيدة بـ " ألوهية عيسى ". هذه الآيات كالتالي:

1. " لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". المائدة: ١٧.

2. " لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ". المائدة: ٧٢.

3. " وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ". المائدة: ١١٦.

4. " اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ". التوبة: ٣١.

---

[1] ورد مصطلح أهل الذكر مرتين في القرآن: في قوله تعالى: "مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بالبينات والذكر..". النحل: ٤٣– 44. وفي قوله تعالى: " وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ". الأنبياء: ٧، فقد يفهم من النص أن المقصود هو أهل الكتاب قبل القرآن؛ إذ اقترنت الآية الأولى بالبينات والزبر، والثانية مختصة بما قبل إرسال محمد، يرى الرازي أنه تعالى أمرهم أن يسألوا أهل الذكر وهم أهل الكتاب. انظر: **مفاتيح الغيب**، ج22، ص124. ورغم ذلك إلا أن الآية يصح الاستدلال بها في سؤال الجاهلِ العالمَ، كما اعتدنا سماع استشهاد العلماء بذلك. ولقد ذكر الرازي أربع أقوال في المراد بأهل الذكر: 1– أهل التوراة عن ابن عباس. 2– أهل الكتب عن زجاج. 3– أهل العلم بأخبار الماضيين؛ إذ العالم بالشيء يكون ذاكرا له. 4– سلو كل من يذكر بعلم وتحقيق، وهذا راجع إلى القول بأنهم اليهود والنصارى، فقد كان مشركو قريش مقرين بأنهم أهل علم، وهذا الرأي عن زجاج أيضا. انظر: **مفاتيح الغيب**، ج20، ص30.

بناء على هذا نقول إن القرآن تكلم عن ألوهية عيسى، كما خاض العلماء في حقائق معاني هذه العبارة، سعيا للخروج بمفهوم صحيح لعقيدة الألوهية، لنسير في إدراك عقيدة ألوهية عيسى عند النصارى كما أوردها القرآن، مستنيرين بآراء العلماء في ذلك، لنا وقفات نجول فيها حول النقاط التالية:

النقطة الأولى: ما المقصود بعقيدة ألوهية عيسى الواردة في النص القرآني؟

يحكي القرآن أن الذين قالوا إن **عيسى هو الله بنفسه أو بذاته** هم كافرون برسالة محمد، والتي تدعو إلى التوحيد، وأن دعوى الأنبياء جميعا هو التوحيد، وعدم التشبيه، إلا أنه من الخطأ والتعميم الفاسد فهم هذا الكلام على العمومية، ولا يصح حمله على جميع النصارى، فهم فرق كما هو معلوم. أضف إلى هذا أن التعميم يفتح باب الطعن في صحة هذا الكلام؛ فتقول الفرق الأخرى نحن نصارى لكن لا نؤمن بأن عيسى هو الله الخالق. ولعل هذا هو سر استخدام القرآن كلمة الذين قالوا، ولم يقل النصارى، كما استخدم الناس، في آخر آية المائدة، أي هؤلاء الناس الذين يقولون أن الله هو عيسى، إلا أن مقتضى الحال والواقع يفرض تنزيل هذا الكلام على من قاله منهم من وجه وتفسير آخر، ومن هنا يصح المعنى وينجلي الغبار، فلا توجد إشكالية!

لكن يا ترى **ما هي الفرقة النصرانية التي تعتقد بأن عيسى نفسه هو الله، أو بعبارة القرآن إن الله هو المسيح؟** يبين ابن عاشور في ذلك أنهم أرادوا الاتّحاد بالله وأنّه هو هُو . وهذا قول اليعاقبة.[1] ولعل الرازي من أفضل من بين المقصود من هذه الآية حيث يقول في صدد بيان المقصود من الآية: " اعلم أنه تعالى لما استقصى الكلام مع اليهود شرع هاهنا في الكلام مع النصارى، **فحكى عن فريق منهم أنهم قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، وهذا هو قول اليعقوبية** لأنهم يقولون إن مريم ولدت إلهاً، ولعلّ معنى هذا المذهب أنهم يقولون إن الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذات عيسى"،[2] ويقول في كتابه **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، وهو يتحدث عن فرق النصارى: " اليعقوبية: وهم يقولون إن روح الباري اختلط ببدن عيسى عليه السلام اختلاط الماء باللبن."[3] فهذا يدل على أنهم يقولون إن الله هو عيسى. بعد أن عرفنا أن هذه الآية في اليعقوبية، حق لنا الوقوف على ما قال ابن حزم في اليعقوبية تكميلا للشرح وتسهيلا للفهم، على أننا سنعود ونبين موقف الفرق النصرانية الأخرى من عقيدة تأليه عيسى. يبين ابن حزم موقف اليعقوبية ورأيه فيهم، فذكر أنه قالت اليعقوبية أن المسيح هو الله تعالى نفسه، وأن الله تعالى عن عظيم كفرهم مات وصلب وقتل، وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر والفلك بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان وأن الله تعالى عاد محدثا، وأن المحدث عاد قديما، وأنه تعالى هو كان في بطن مريم محمولا به وهم في أعمال مصر

[1] ابن عاشور، محمد الطاهر. **التحرير والتنوير**. (تونس: دار سحنون. 1997). ج6، ص281.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج12، ص50.

[3] الرازي، **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، ص117.

وجميع النوبة وجميع الحبشة و ملوك الأمتين المذكورتين. ومن ثم أضاف أبو محمد رضي الله عنه (ابن حزم): ولولا أن الله تعالى وصف قولهم في كتابه إذ يقول تعالى لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم، وإذ يقول تعالى حاكيا عنهم إن الله تعالى ثالث ثلاثة، وإذ يقول تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، لما انطلق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع السمح السخيف، وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن في العالم عقلا يسع هذا الجنون ونعوذ بالله من الخذلان.[1]

وبالرجوع إلى المصادر الغربية، أو المصادر النصرانية نفسها، نجد أن ما قرره علماء المسلمين في حق اليعقوبية هو عين ما ينسبونه إلى اليعقوبية أو ما يعرف بالأرثودكس، نجد أن ماري ويفر ودافيد بريككي، يقرران في كتابهما بعد أن ساقا جملةً من الفروق بين اليعقوبية الأرثودكسية، والملكانية الكاثوليكية،[2] ودخلا في إشكالية شرح ألوهية عيسى بين الفريقين، أن اليعقوبية (الأرثودكس) يرون أن عيسى طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، وهو إله بالكامل، أو إله كلي.[3] وهذا حاصل ما أورد ابن حزم وابن عاشور والرازي والشهرستاني كما مر بيانه، فنخرج بنتيجة أن ما ذكره القرآن وبينه علماء المسلمين على لسان اليعقوبية هو عين ما تدين به اليعقوبية.

ونجد أن ميشيل روسيل وآخرون يقررون كذلك أن الأرثودكس أو اليعقوبية يؤمنون بأن عيسى مكون من طبيعة واحدة ومشيئة واحدة وهي قداسة واحدة، قداسة الرب[4]. وهذا هو ما أكده القس عوض سمعان حين قال: "الله أراد أن يظهر بيننا فتجسد في صورة ابنه عيسى، لأنه لو ظهر لنا لقضى علينا في الحال، ولو فرضنا أننا استطعنا أن نثبت قدامه لحظة لنملكنا الرعب، والحال أن الله لا يريد أن يرعبنا، فظهر في صورة عيسى."[5]

فالحاصل أن القرآن أخبر أن من النصارى من يؤمن بأن عيسى نفسه هو الله، أو الله عينه هو عيسى، وبين العلماء أن اليعقوبية (الاسم المتداول في التراث الاسلامي) أو الأرثودكس هو من يؤمن بهذا من النصارى، وقد وقفنا على ما يؤكد هذا الكلام على ألسنة النصارى بعد المقارنة.

---

[1] ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري، **الفصل في الملل والأهواء والنحل** (بيروت: دار الجيل، د.ط، د.ت) ج1، ص48.

[2] لعل من الجدير بالذكر لفت أنظار غير المتخصصين في مجال دراسة الأديان، أو الملل والنحل بملاحظة مهمة، وهي أن اليعقوبية هي عين ما يسمى اليوم بالأرثودكس، والملكانية هي ما تعرف بالكاثوليك؛ ويمكن فهم المراد منهما ضمنيا بما ذكر أعلاه من مواقف، وللتفصيل يراجع؛ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، **الملل والنحل**؛ ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**؛ أبو زهرة، محمد، **محاضرات في النصرانية**، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط2، 1966).

[3] *Weaver, Mary Jo, Brakke, David, Introduction to Christianity (Indiana, Wadsworth Publishing Company, 1984). Pp67.*

[4] *Micheal F. Russell, Christianity Book (Massachusetts, Adams media publication, 2004). Pp 23-24.*

[5] سمعان، عوض، **غفران الذنوب: فلسفة الغفران في المسيحية** (القاهرة، المطبعة التجارية)، ص139.

النقطة الثانية: ما موقف فرق النصارى –الأخرى– من ألوهية المسيح؟

إذا لم يصح إنزال الآيات السابقة –حرفيا– على جميع فرق النصارى **بأن الله هو المسيح بنفسه،** لا يعني ذلك أن النصارى يؤمنون بأن عيسى مجرد نبي، فهم يؤمنون بألوهيته، ويختلفون في شرح طبيعة شخصيته؛ فقبل مجمع[1] نيقية 325م، لم يكن الإيمان بألوهية المسيح محل إجماع المسيحين، ومنذ انعقاد هذا المجمع أصبح الإيمان بألوهيته الموقف الرسمي للكنيسة. لذلك يبدو للباحث أن أغلب فرق النصارى يؤمنون بألوهية المسيح وإن اختلفوا في شرح وبيان المقصود بطريقة كونه إلهاً.

لإدراك موقف النسطورية من تأليه عيسى، يستحسن بنا النظر فيما بينه ابن كثير، حيث قال: "وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء، ثم رفعه الله إليه. وهؤلاء النسطورية".[2] يعرف الرازي النسطورية منهم قائلا: " هم يقولون إن اتحاد الله بعيسى لم يبق وقت الصلب،"[3] مما يدل على أنهم يؤمنون بالاتحاد، وبالضرورة هم يؤمنون بألوهية عيسى.

أما **عن موقف الملكانية منهم،** فقد بين ابن عاشور في ذلك وهو يتحدث عن فرق النصارى فقال: "وقالت المِلْكَانية وهم الكاثوليك : عيسى ثالثُ ثلاثة مجموعها هو الإله، وتلك هي: الأب الله ، والابنُ عيسى، وروحُ القدس جبريل فالإلاه عندهم أقانيم ثلاثة".[4] وبين الفخر الرازي في الملكانية: " أنهم يقولون إن اتحاد الله بعيسى كان باقيا وقت صلبه."[5] ومن خلال هذا ندرك أن فرق النصارى الكبرى الثلاثة يقولون بتأليه عيسى، إلا أنه من الجدير بالانتباه بالانتباه إليه هو **الفرق بين الملكانية والنسطورية من جهة وبين اليعقوبية من أخرى،** فاليعقوبية قالوا بألوهية عيسى من منظور أن شخص عيسى هو الله بعينه، أي جوهر واحد، وهذا ما حكاه القرآن بأن الله هو المسيح. خلافا للفرقتين، فهم مع قولهم بألوهية عيسى فليس من نفس منظور اليعقوبية، إنما من منظور جزئية، أي بالحلول صار شخص عيسى البشري إلها، فهناك جوهران جوهر عيسى وجوهر الإله، وهذا هو التعبير بالناسوت واللاهوت.

هذا هو موقف فرقهم واحدة تلو الأخرى، لكن الإمام الرازي جمعهم في مكان واحد، فقد ذكر الفخر في **مفاتيح الغيب** أن كبار فرق النصارى ثلاثة النسطورية والملكانية واليعقوبية: أما النسطورية فقد زعموا أن المسيح صلب من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته، وأما الملكانية فقالوا القتل والصلب وصلا إلى اللاهوت بالإحساس والشعور لا

---

[1] للنصارى ما يسمى بمجمع ويجمع على مجامع، وهو عبارة عن اجتماعات تعقد حسب الضرورة لمراجعة والنظر في أهم القضايا النصرانية، والخروج برأي واحد، وله تأثير على فهم الديانة النصرانية، ومجمع النيقية كان يقول أبو زهرة وهو يتحدث عن المجامع وأنها تنقسم إلى عامة وخاصة: "..نبدأ بأعظم هذه المجامع، وأبعدها أثراً، وأكبها شأناً، وأولها وجوداً وأعظمها ذكراً وهو مجمع نيقية. انظر: أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية،** ص121.

[2] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. **تفسير القرآن العظيم** (الرياض: دار طيبة، الطبعة الثانية، (1999). ج2، ص450.

[3] الرازي، **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين،** ص116.

[4] ابن عاشور، **التحرير والتنوير،** ج25، ص249.

[5] الرازي، **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين،** ص116.

بالمباشرة، وقالت اليعقوبية القتل واللصلب وقعا بالمسيح الذي هو جوهر متولد من جوهرين فهذا هو شرح مذاهب النصارى في هذا الباب[1]. فيفهم من هذا أن جميع فرق النصارى الثلاث يؤمون بألوهية عيسى.

وليتضح الأمر أكثر فأكثر لنتدبر كلام الشهرستاني في الكلام على النسطورية منهم، لنفهم جملةً موقف فرقهم من ألوهية المسيح، يقول: " إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود والعلم والحياة، وهذه **الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو**، واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام لا على طريق **الامتزاج كما قالت الملكانية**، ولا على طريق **الظهور به كما قالت اليعقوبية**، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة، وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم."[2] فعيسى على كل حال إله، بأي علاقة وبأي تفسير يكون إلها هنا يختلفون. وتأمل قوله في اليعقوبية ليكتمل عندك المعنى، فقد ذكر أنهم قالوا بالأقانيم الثلاثة كما ذكرنا إلا أنهم قالوا: **انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده، بل هو هو، وعنهم أخبرنا القرآن الكريم** : " لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ". المائدة: ٧٢. فمنهم من قال: إن المسيح هو الله تعالى ومنهم من قال: ظهر اللاهوت بالناسوت فصار الناسوت المسيح مظهر الجوهر لا على طريق حلول جزء فيه ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة، بل صار هو هو وهذا كما يقال: ظهر الملك بصورة إنسان أو ظهر الشيطان بصورة حيوان، وكما أخبر التنزيل عن جبريل عليه السلام فتمثل لها بشرا سويا، وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد أقنوم واحد إلا أنه من جوهرين. وربما قالوا: طبيعة واحدة من طبيعتين فجوهر الإله القديم وجوهر الإنسان المحدث تركبا تركيبا كما تركبت النفس والبدن فصارا جوهرا واحدا أقنوما واحدا وهو إنسان كله وإله كله، فيقال: الإنسان صار إلها ولا ينعكس فلا يقال: الإله صار الإنسان، كالفحمة تطرح في النار فيقال: صارت الفحمة نارا ولا يقال صارت النار فحمة وهي في الحقيقة لا نار مطلقة ولا فحمة مطلقة بل هي جمرة، وزعموا أن الكلمة اتحدت بالإنسان الجزئي لا الكلي، ولربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج والادراع والحلول كحلول صورة الإنسان في المرآة المجلوة.[3] يقول صموئيل زويمر المستشرق صاحب كتاب The Muslem Christ – المسيح المسلم: ما مفاده، يعتقد النصارى أن عيسى إله و إنسان، وهو نبي وكاهن وقسيس وملك، ويعتقد المسلمون أنه مجرد إنسان.[4] ويبين في مكان آخر ما معناه: لا يستطيع المسلمون دراسة شخصية عيسى المسيح بناءً على هذه الدرجات."[5]

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج11، ص81.

[2] الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، **الملل والنحل** (بيروت: دار المعرفة، الطبعة الثالثة، 1993). ج1، ص223.

[3] الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج1، ص224.

[4] Zwemer, Samuel, *The Moslem Christ*, (London: Morrison and Gibb LTD, 1912)، pp. 117.

[5] Zwemer, *The Moslem Christ*، pp.114.

بهذا ينكشف لنا موقف النصارى من ألوهية المسيح بعد أن بينا موقف اليعقوبية منهم على أن عيسى هو الله أو الله هو المسيح، اقتبسنا هذا الكلام من مجمل قول القرآن عنهم، واستدللنا بآراء الإمام الرازي واستدلالاته في تفصيل الخطاب القرآني، و قد نقلنا على ألسنتهم ما يصدق حكاية القرآن عنهم. والآن لننتقل إلى الخطوة التالية في معرفة موضوعية الخطاب القرآني من عدمها!

النقطة الثالثة: ما مدى مصداقية القرآن في حكايته هذه العقيدة؟

بعد هذا البيان لا بد من الخروج بنتيجة من حكاية القرآن عن النصارى أنهم يقولون أن الله هو المسيح ابن مريم، وهذه النتيجة هي أن تلك الحكاية صحيحة، وبالتالي كان القرآن موضوعيا في حكايته، فاليعقوبية من النصارى فسروا ألوهية المسيح المتفق عليه في النصرانية بأن الله نفسه هو المسيح. علاوة عن ذلك يصح تعميم الخبر مجازا في حق كل النصارى؛ من حيث إيمانهم جميعا بأن عيسى إله، قد يساعد الباحث في هذا رأيُ الرازي في المسألة، إذ ذكر – على سبيل الإنكار ليجذب السامع، أو ليمثل رأيهم، ليكون موضوعيا– أن النصارى لا يقول إن الله هو المسيح ابن مريم، فكيف حكى الله عنهم ذلك مع أنهم لا يقولون به؟ ثم أجاب بأن كثيراً من الحلولية يقولون إن الله تعالى قد يحل في بدن إنسان معين، أو في روحه، وإذا كان كذلك فلا يبعد أن يقال إن قوماً من النصارى ذهبوا إلى هذا القول، بل هذا أقرب مما يذهب إليه النصارى؛ وذلك لأنهم يقولون أن أقنوم[1] الكلمة اتحد بعيسى عليه السلام، فأقنوم الكلمة إما أن يكون ذاتاً أو صفة، فإن كان ذاتاً فذات الله تعالى قد حلت في عيسى، واتحدت بعيسى، فيكون عيسى هو الإله على هذا القول، وإن قلنا إن الأقنوم عبارة عن الصفة، فانتقال الصفة من ذات إلى ذات أخرى غير معقول، ثم بتقدير انتقال أقنوم العلم عن ذات الله تعالى إلى عيسى يلزم خلو ذات الله عن العلم، ومن لم يكن عالماً لم يكن إلهاً فحينئذ يكون الإله هو عيسى على قولهم فثبت أن النصارى وإن كانوا لا يصرحون بهذا القول إلاّ أن حاصل مذهبهم ليس إلاّ ذلك.[2] نجد الإمام الرازي يؤكد هذا الكلام أيضا حين حديثه عن آية آخر المائدة فقد بين أن الإله هو الخالق، والنصارى يعتقدون أن خالق المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم هو عيسى عليه السلام ومريم، والله تعالى ما خلقها ألبتة، وإذا كان كذلك فالنصارى قد قالوا إن خالق تلك المعجزات هو عيسى ومريم، والله تعالى ليس خالقها فصح أنهم أثبتوا في حق بعض الأشياء كون عيسى ومريم إلهين له مع أن الله تعالى ليس إلهاً له فصح بهذ التأويل هذه الحكاية والرواية.[3]

---

[1] أقنوم بمعنى الأصل وهي رومية، انظر حاشية: الباقلاني، محمد بن الطيب، **التمهيد في الرد على المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة**, تحقيق عماد الدين أحمد حيدر (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية, الطبعة الأولى، 1987)، ص98.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج11، ص152.

[3] المصدر نفسه، ج12، ص111.

ملخص القول هو أن القرآن كان موضوعيا وعلى تمام المصداقية في الخبر عن النصارى، وقفنا على تفصيل ذلك من خلال آراء علماء المسلمين، وباقتباس كلام بعضهم شهادة على صحة حكاية القرآن.

النقطة الرابعة: ما أدلة النصارى في اعتناق عقيدة ألوهية المسيح؟

يدين النصارى بعقيدة ألوهية المسيح وذلك تبعا لأدلة يرونها، ولنقف على دليلين في ذلك كجزء من جملة آراء وجهود الرازي في دراسة النصرانية، فنقول:

1. دليل ظهور المعجزات على يديه: يرى النصارى أن الإله هو الخالق القادر، وبما أن عيسى ظهر على يديه معجزات يلزم من ذلك كونه إلها؛ إذ لا يستطيع فعل ذلك وخلق تلك المعجزات إلا الإله. يقول الإمام الرازي في ذلك: " الإله هو الخالق، والنصارى يعتقدون أن خالق المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم هو عيسى عليه السلام ومريم، والله تعالى ما خلقها ألبتة[1]". يعني وبالنتيجة أن عيسى هو الإله، والصريح من هذا دلالة قول العالم النصراني لما سأله الإمام الرازي في بداية المناظرة، ما الذي دل على كونه إلها؟ أجاب قائلا: "الذي دل عليه ظهور العجائب عليه من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وذلك لا يمكن حصوله إلا بقدرة الله تعالى."[2]

2. جواز إمكان ظهور الله كيف شاء وفي أي صورة شاء. انطلاقا من هذا الدليل المسلم به عند النصارى حاجّ الرازي مناظره[3] يبين مناظر الرازي أن صانع العالم هو القديم الأزلي الذي لا يكيف ولا يمثّل، ويظهر لعباده كيف يشاء، وفي أي صورة شاء، ويجوز تسمية تلك الصورة بأي اسم شريف، لأن العلم حاصل بأن المسمى غير الاسم، والصورة غير المعنى، فهذا لا بأس به إذا اعتقده طائفة من النصارى، واستدل بأن من المسلمين طائفة تعتقد أن الإله صورة وجسم جالس على العرش، وعلى الله تاج من ذهب وذكر أن أكثر من هذا موجود في كتاب الآجري،[4] وعبد القادر الجيلاني،[5]. وأن من المسلمين من فسر المقام المحمود بجلوس محمد مع ربه على العرش.[6] وأن المسلمين يرون "إن الله

---

[1] المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[2] الرازي، **مناظرة في الرد على النصارى**، ص25.

[3] يُقصد المشبهة والمجسمة خاصة الكرامية، وكذا غلاة الصوفية، وبعض الطوائف من الشيعة كالشريعية، والسبئية، وسيأتي بيان رأي الإمام في بطلان هذا الدليل، وأن من يقول هذا من طوائف المسلمين غير معدودين في دائرة المسلمين، وبالتالي لا يحتج بهم على المسلمين.

[4] محمد بن الحسين البغدادي، توفي 360هـ، من مؤلفاته الأربعين في الحديث، وكتاب الشريعة، وأصول المشتاقين، ولم يوجد من ينسبه إلى المشبهة. انظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، **وفيات الأعيان** (بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى، 1971)، ج4، ص292.

[5] هو عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، توفي 561، الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف، شيخ الإسلام علم الأولياء، من مؤلفاته تحفة المتقين، والغنية وفتوح الغيب. انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1985). ج20، ص439.

[6] ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج17، ص527-530.

ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا."[1] والنزول والطلوع إنما يطلق على الأجسام. أنه خلق آدم على صورته.[2] و ذكر أيضا أن من المسلمين طائفة تعتقد بالحلول. وطائفة تدعي المكاشفة والمشاهدة والأحوال الشريفة والأنفاس النفيسة، وعلى ذلك تدعي أيضا الاتحاد حتى نقل عن الحِلاج،[3] أنه كان يقول" (أنا من أهوى ومن أهوى أنا)، وعن أبي يزيد،[4] أنه أنه كان يقول: (سبحاني ما أعظم شأني)، ويستشهد بعد بأنه ليس من النصارى من اعتقد شيئا من ذلك، بل طائفة منهم فقط تعتقد مثل ذلك في عيسى خاصة.[5]

وفحوى القول هو أن من المسلمين من يؤمن بالحلول والتجسيم والتشبيه انطلاقا من أن الله يظهر كيف يشاء فيمن يشاء في أي صورة شاء، وهكذا القول في عيسى على اختلاف في بيان العلاقة وطريقة الاتصال كما قد مر، و قبول الأمر في حق عيسى أهون من قبوله من أي رجل جاهل أو فلاح كما قد عبر عنه. فهذا القول إضافة إلى المعجزات يعتبران دليلان من أدلة ألوهية عيسى في النصرانية. ولا شك أن هذا الكلام مرفوض وباطل، لسنا في صدد ذكر وجوه بطلان ذلك. ومع ذلك سنقف على رد الإمام على مناظره في آخر هذا البحث.

النقطة الخامسة والأخيرة: ما موقف القرآن من هذه العقيدة ورده عليها؟

من أسباب حديث القرآن عن النصراني بيان الحق من الباطل، فما حكم العقل والمنطق والشرع بأنه الحق يُتبع وما لا فلا، ولأجل إثبات التوحيد تحدث القرآن عن أديان الذين يشركون، فمن باب من ضده تعرف الأشياء تناول الأديان المشركة. وليس من المنطق ولا المعقول أن يسرد القرآن تلكم المعتقدات على سبيل السرد والحكاية المجردة دون أن يتبع ذلك ببيان موقفه منها، بعد ذلك أقول: بين القرآن موقفه من عقيدة ألوهية المسيح في نفس الآيات التي دلتنا على أن النصارى يؤمنون بألوهية المسيح، وسنتكلم عنها كالتالي:

1. قوله تعالى: " لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ

[1] أخرجه البخاري في باب التهجد بالليل 2/ 60. انظر: البخاري، **صحيح البخاري**، ج2، ص52. باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، رقم الحديث 1145.

[2] انظر: البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامه**، ج8، ص50. باب بدء السلام، رقم الحديث 6227.

[3] هو حسين بن منصور، أبو عبد الله، ويقال أبو مغيث، من مؤلفاته الطواسين، والكبريت الأحمر، وعلم البقاء والفناء. انظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج14، ص313؛ وانظر: السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين، **طبقات الصوفية** (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1998)، ج1، ص90.

[4] طيفور بن عيسى، عرف بالزهد ونسب إليه القول بوحدة الوجود. ينظر ترجمته في **وفيات الأعيان**: 140/2.

[5] الرازي، **مناظرة في الرد على النصارى**، ص36.

شَيْءٍ قَدِيرٌ". المائدة: ١٧. يعني هذه العقيدة باطلة في نظر القرآن؛ لأن الله يجب أن يتصف بصفات الكمال وينزه عن صفات النقص، فكل من أو فكل ما قيل فيه أنه إله وكان لا يتصف بالكمال ويتخلى عن النقصان فلا يحق أن يكون إلهاً، ومن هذا القبيل عيسى عليه السلام فهو بشر عادي لا يستطيع دفع ضر لضعفه؛ لذلك لا أحد، لا عيسى نفسه عليه السلام ولا غيره يستطيع أن يمنع الله القادر إذا أراد أن يهلك المسيح أو غيره، فهذا الضعف في عيسى البشر الرسول، وهذه القوة في الله القادر دليل على أن عيسى ليس بإله، ذكر الرازي ذلك وهو يبين وجوه بطلان كون عيسى إلها، فقد ذكر في بطلان هذه المقولة أن النصارى يعترفون بأن اليهود أخذوه وصلبوه، وتركوه حيا على الخشبة، وقد مزقوا ضلعه، وأنه كان يحتال في الهرب منهم وفي الاختفاء عنهم، وحين عاملوه بتلك المعاملة أظهر الجزع الشديد، فإن كان إلهاً أو كان الإله حالا فيه أو كان جزء من الإله حالا فيه فلم لم يدفعهم عن نفسه؟ ولم يهلكهم بالكلية؟ وأي حاجة به إلى إظهار الجزع منهم والاختفاء والفرار عنهم؟ وبالله إنه لعجب! إن العاقل كيف يليق به أن يقول هذا ويعتقد صحته وتكاد تكون بديهة العقل شاهدة بفساده؟[1] هذه الأحوال التي تم ذكرها دليل ضعف، والله ليس بضعيف، وهذا مفهوم من الآية المذكورة.

2. " لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ". المائدة: ٧٢. بين القرآن هنا أن هذه العقيدة غير صحيحة، من منظور الإسلام فكيف يقول المسيح للنصارى اعبدوا الله ربي وربكم ثم تقولون أنه رب كذلك، فهذا هذيان ومخالفة المنطق والعقل السليم، يقول الرازي: " ثبت بالتواتر أن عيسى عليه السلام كان عظيم الرغبة في العبادة والطاعة لله تعالى ولو كان إلها لاستحال ذلك؛ لأن الإله لا يعبد نفسه."[2] وهذا النص من جملة استدلال الرازي في مناظرته مع العالم النصراني، فهو يعلم ويقر بأن عيسى كان كثير الرغبة في عبادة الله.

3. من آخر ما سيذكر هنا من دليل هو **رد الرازي على دليل العالم النصراني السابق ذكره**، حيث قال ما مفاده، وأما القول بأنه لا يبعد ظهور الحق تعالى لعباده في صورة حسنة مقرونة بالصلاح والصفات الكاملة والأخلاق المرضية، فلو قلنا: لا يبعد ظهور الحق لنا في هذه الصورة فلعل شخصا يدعي الإلهية وتكون تلك الصلاحية تلبيسا علينا، فيكون إبليس ظهر في تلك الصورة، أو رسول لإبليس أو أحد نوابه، ويجرّ ذلك إلى عبادة من دون الله تعالى، وذلك كفر. ونحن **لا ينبغي لنا أن نجوّز ظهور صورة مخلوق لئلا يؤدي إلى السفسطة والتلبيس**، فكيف ينبغي لنا أن نجوز ظهور الحق تعالى في صورة خلقه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وأما القول بأن طائفة منكم مجسمة مشبهة حشوية سكنوا الزوايا وادعوا المشيخة من غير علم، وطائفة أخرى يقولون بالحلول والاتحاد، فمسَلّم، **لكن ليسوا هم**

[1] الرازي، **مناظرة في الرد على النصارى**، ص23.

[2] الرازي، **مناظرة في الرد على النصارى**، ص25.

منا حقيقة، بل تدّعي أنت أنهم منا ونحن ندعي أنهم خارجون عنا، فلا يكون ذلك قدحا فينا ولا طعنا علينا، كيف ونبينا عليه السلام يقول: [من خاننا فليس منا[1]]، وأي خيانة أعظم ممن لبّس على المسلمين، وأكل الدنيا بالدين، وأظهر للناس أنه على طريقة الصديقين وهو في الباطن حريص على صحبة الملوك والسلاطين."[2]

4. بعد بيان عقيدة النصارى في ألوهية عيسى، نجد أن موقف القرآن هو الإنكار، لأن هذه تنافي التوحيد، وعيسى عبد الله ونبيه، كان خلقه دلالة على قدرة الله، كما خلق آدم من غير أب ولا أم، أيده الله بالإنجيل وبالكثير من المعجزات.

لذلك يذكره القرآن مع زمرة من الأنبياء مثله.

أخيرا: عيسى في القرآن رسول نبي، ووجيه ومبارك، مؤيد من قبل الله بالكتاب والحكمة والمعجزات والبينات الواضحات وروح القدس، يحفظه منذ يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا.

هذا بيان الموقف القرآني من عقيدة النصارى في ألوهية المسيح، وآراء علماء المسلمين في بيان وجوه ذلك وتفصيل القول فيه يدل على إحاطتهم بخبر القوم، كما أن القرآن أخبر عنهم قول حق.

خاتمة البحث:

وبهذا نختم البحث حامدين الله أولا وآخرا، ومصلين على محمد بن عبد الله، ويرجو الباحث أن يكون قد وفق لما ألزم نفسه به وأنه أشبع الموضوع حقه، فقد تم تقسيم البحث –كما تم بيانه سابقا وكما رأينا– إلى **ثلاثة محاور،** حيث درس الباحث في **المحور الأول** العلاقة بين علم التفسير وعلم الكلام، الذي بهما يلد هذا البحث في مقارنة الأديان. وتناولت الدراسة في **المحور الثاني** مصطلح أهل الكتاب، وتم استقراء الآيات التي ورد فيها اللفظ استقراء قد يصح الزعم بأنه تام، وبين الباحث معانيها ومقاصدها، وحلل مدى مطابقة مصطلح أهل الكتاب على اليهود والنصارى في عصرنا الحاضر. وفي **المحور الثالث** قام الباحث بدراسة عقيدة أهل الكتاب –أو النصارى خاصة– في ألوهية عيسى كما ورد في الخطاب القرآني، مع تتبع جميع الآيات في ذلك وبيان مفهوم العقيدة ومراميها في القرآن.

هذا ونذكر من النتائج ما يأتي:

1. القرآن عنى بالآخر واهتم به.
2. حرص القرآن على بيان الآخر كما هو، بكل موضوعية وشفافية وإنصاف.
3. يعتبر كل يهودي ونصراني من أهل كتاب في أي مكان وأي زمن وجدوا.

[1] رواه مسلم بلفظ (من غش فليس مني)، انظر: مسلم، **صحيح مسلم،** ج1، ص99. باب قول النبي من غشنا فليس منا، الحديث رقم 102.

[2] الرازي، **مناظرة في الرد على النصارى،** ص45– 46.

4. قوام الديانة النصرانية تكمن في عقيدة ألوهية المسيح، بأي تفسير جاء وجه ألوهيته.

ونذكر من التوصيات ما يأتي:

1. ضرورة الاهتمام بعلم مقارنة الأديان، ودراسة الآخر بمنهج وصفي بياني.
2. العناية بالمنهج القرآني وأسلوبه في البيان والحديث عن الآخر.
3. دراسة موقف القرآن من الملل الأخرى؛ انطلاقا من القرآن، ومحاولة تنزيل رؤية الآخر على مقولات القرآن.

فما كان في هذا البحث من صواب فمن الله نسأل الله القبول، وما كان فيه من خطأ فمن تقصيرنا نسأل الله العفو والتجاوز. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

1. آل سعود، محمد بن سعد بن محمد. (1977). **النصرانية في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.
2. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري.(د.ت). **الفصل في الملل والأهواء والنحل**. بيروت: دار الجيل.
3. ابن خلدون، عبد الرحمن .(2005). **مقدمة ابن خلدون** (الطبعة الأولى). تحقيق عبد السلام الشدادي، الدار البيضاء: بيت الفنون والعلوم والآداب.
4. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد. (1971). **وفيات الأعيان** (الطبعة الأولى). بيروت: دار صادر.
5. ابن عاشور، محمد الطاهر. (1997). **التحرير والتنوير**. تونس: دار سحنون.
6. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. **البداية والنهاية**. بيروت: مكتبة المعارف.
7. أبو زهرة، محمد. (1966). **محاضرات في النصرانية** (الطبعة الثالثة). القاهرة: دار الفكر العربي.
8. الأعظمي، محمد ضياء الرحمن. (2003). **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند** (الطبعة الثانية). الرياض: مكتبة الرشد.
9. الباقلاني، أبوبكر محمد بن الطيب بن جعفر. (1987). **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل** (الطبعة الأولى). بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.
10. البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. (2001). **تفسير البيضاوي** (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.
11. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم. (1422هـ). **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه** (الطبعة الأولى). الرياض: دار طوق النجاة.
12. البوطي، محمد سعيد رمضان. (1991). **فقه السيرة النبوية** (الطبعة الثالثة). دمشق: دار الفكر.
13. البوطي، محمد سعيد رمضان. (1997). **كبرى اليقينيات الكونية** (الطبعة الثامنة). دمشق: دار الفكر.
14. حمد، حسين علي. (1998). **قاموس المذاهب و الأديان** (الطبعة الأولى). بيروت: دار الجيل.
15. الحميدي، محمد بن فتوح. (2002). **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم** (الطبعة الثانية). بيروت: دار ابن حزم.
16. الخلف، سعود بن عبد العزيز.(1997). **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية** (الطبعة الأولى). الرياض: مكتبة أضواء السلف.

17. الرازي، محمد فخر الدين. (1986). **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين** .(الطبعة الأولى). ضبط وتقديم وتعليق محمد المعتصم بالله البغدادي. بيروت: دار الكتاب العربي.
18. الرازي، محمد فخر الدين. (1981). **مفاتيح الغيب** (الطبعة الأولى). بيروت: دار الفكر.
19. الرازي، محمد فخر الدين. (1986). **مناظرة في الرد على النصارى**. تحقيق عبد المجيد النجار. بيروت: دار العرب الإسلامي.
20. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. (1957). **البرهان في علوم القرآن** (الطبعة الأولى). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار المعرفة.
21. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. (1998). **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** (الطبعة الأولى). الرياض: مكتبة العبيكان.
22. السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين. (1998). **طبقات الصوفية** (الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.
23. الشرقاوي، محمد عبد الله.(2002). **بحوث في مقارنة الأديان** (الطبعة الثانية). القاهرة: دار الفكر العربي.
24. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم. (1993). **الملل والنحل** (الطبعة الثالثة). بيروت: دار المعرفة.
25. عبد الباقي، محمد فؤاد، (1364هـ). **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، القاهرة: دار الكتب المصرية.
26. عوض، سمعان. **غفران الذنوب: فلسفة الغفران في المسيحية**. القاهرة: المطبعة التجارية.
27. عجيبة، أحمد علي. (2006). **تأثر المسيحية بالأديان الوضعية** (الطبعة الأولى). القاهرة: دار الآفاق العربية.
28. الفاضلي، داود علي. (1986). **أصول المسيحية كما يصورها القرآن**. الرباط: دار المعارف.
29. فتّاح، عرفان عبد الحميد. (2005). **النصرانية: نشأتها التاريخية وأصول عقائدها** (الطبعة الثانية). كوالالامبور: دار التجديد.
30. محمود، جمال سعود. (1997). **النصرانية بين نبأ القرآن المجيد والعهد الجديد تاريخا وعقيدة** (الطبعة الأولى). القاهرة: دار الطباعة المحمدية.
31. مسلم، أبو الحسين بن الحجاج، (1998). **صحيح مسلم**، الرياض: بيت الأفكار الدولية.

المصادر الإنكليزية

1. Ataur-rahman, Muhammad. (1992). *Jesus a prophet of Islam*. New Delhi: Nusrat Ali Nasri for Kitab Bhavan.

2. Maccpby, Hyam (1986). *The mythmaker: Paul and the Invention of Christianity*. New York: Harper & Row.

3. McGrath, Alister E. (1997). *An Introduction to Christianity, Cambridge, Blackwell.*

4. Micheal F. Russell. (2004). *Christianity Book.* Massachusetts: Adams media publication.

5. Parrinder, Geoffrey. (1965). *Jesus in the Qur'an*. London: Western Printing Services Limited Bristol, first published.

6. Robinson, Neal. (1991). *Christ in Islam and Christianity*. New York: State University of New York.

7. Weaver, Mary Jo, Brakke & David. (1984). *Introduction to Christianity*. Indiana: Wadsworth Publishing Company.

8. Zeitlin, Irving. M. (1988). *Jesus and the Judaism of His Time.* Cambridge: Polity Press.
9. Zwemer, Samuel. (1912). *The Moslem Christ*. London: Morrison and Gibb LTD.